جانلويجي بوفّون

أنْ تسقُطَ فتنْهض ثُمَّ تسْقطَ فتَنْهض

إهـداء

إلى أبنائي،

حتّى لا يخشوا المرور في هذه الحياة.

كان يوم الثُّلاثاء، الثلاثون من أيّار 2023م، السّاعة التّاسعة والنّصف مساءً. وشعرتُ أنّني ميْت.

كنتُ أسير صوب غرفة تبديل الملابس، في ملعب كالياري، وأشعر في أعماقي أنّني بلغتُ نهاية المطاف. انتهى لتوّه الشّوط الأوّل من مباراة نصف النّهائيّ في المربّع الذّهبيّ، تلك المباراة التي كانتْ ستحدّد أيّ من الفريقيْن ينتقل إلى دوري الدّرجة الأولى. وكان فريقي، نادي پـارما، يتقدّم بهدفيْن مقابل لا شيء. لقد خضنا مباراة جيّدة، بيد أنّني تعرّضت للإصابة، ولا أظنّني سأعود إلى المرمى في الشّوط الثّاني. وبالفعل فقد أوعز المدرّب إلى الحارس الثّاني بممارسة الإحماء أثناء استراحة ما بين الشّوطين.

كان ضجيج الجماهير يمتزج بالموسيقى الصّادرة عن مكبّرات الصّوت. وفي حين كنتُ أسير في ممرّ الملعب، صوب غرفة تبديل الملابس، انتابتني مشاعر لمْ أخبرها من قبل. فقد كنتُ أوشك على خلع القفّازيْن للمرّة الأخيرة. لقد انتهى أمرك يا جيجي.

ولكنّ القفّازيْن بقيا مشدوديْن على معصميّ، وكأنّهما ملتصقان بالجلد. وعادة ما أستعينُ بأسنان لخلعهما. "أترى يا جيجي، قفّازيْك يأبيان قطعاً أنْ تنسحب. إنّنا نفوز بهدفيْن مقابل لا شيء، وها أنتَ تقفز بفريق پـارما إلى دوري الدّرجة الأولى. اصرف عنك هذه الأفكار يا جيجي. إنّها إصابة لا غير، سيطويها الزّمن، فكم مررت بمثلها!".

ولكنّ الأمر لمْ يكن كذلك، فأنا ميْت في أعماقي.. وأفلحتُ أخيراً في انتزاع القفّازيْن من يديّ، فبرزتِ مفاصلها عارية، محمرة، وندية برطوبة العرق،

تلمع تحت مصابيح النّيون. لقد بلغتُ النّهاية، والأمر مؤلم جدّاً. عليّ التوقّف لأشهر، والخضوع للعلاج واستعادة لياقتي. لمْ أعد أحتمل ذلك. لقد شعرتُ بأنني مُتُّ...! بلغتُ الخامسة والأربعين، وحولي كثير من زملائي الذين يرتدون السّراويل القصيرة، ويهرعون على عجل نحو غرفة تبديل الملابس، قد يكونون بعمر أولادي. كنتُ أسمع صخب مسامير الأحذية الرّياضيّة على الأرضيّة، فتثير فيّ جملة من المشاعر المتضاربة، الخوف، والإثارة، والغضب، والشّراسة. وبدا لي هذا الصّخب مثل لحن زمنٍ مضى، وانفعالاتٍ تتضاءل، وأنت تعلم أنّك لنْ تحياها أبداً.

"أتستطيع الاستغناء عنها يا جيجي؟". لا، لا أستطيع. والأمر شديد الإيلام، وقد بلغت الخامسة والأربعين، ولا شكّ أنّ وجهي شاحب ومضطرب. يا لهذا الممرّ الذّي لا ينتهي! كنتُ سأدخل إلى غرفة تبديل الملابس وأغيّر ملابسي، وأضع حذاءً لا مسامير له، وأخلع هذيْن القفّازيْن اللّذيْن يأبيان الخلع.

"لا، دعك من هذا يا جيجي، انتظر، وانظر ما سيحدث من حولك، أرجئ التّفكير في الأمر إلى الغد. كم من الأشياء تنجلي حينما تُرجئ التّفكير فيها إلى اليوم التّالي. فبعض الإصابات لا يبقى منها، في اليوم التّالي، سوى الوسم. اسمع يا جيجي، ليس الأمر كما تتصوّر، فأنت لمْ تمتْ بعد".

شعرتُ بأحدهم يسحبني من قميصي. كان أحد زملائي الذين هم في مقتبل العمر. إدواردو كورڤي، حارس المرمى الثّالث في فريق پارما. سألني: "أكلّ شيء على ما يرام؟".

لقد أدرك وقوع خطب ما. طمأنته، ثم خطر في ذهني أنّني، وقبل مجيء هذا

الشّاب إلى الدّنيا، كنت حارس مرمى في دوري الدّرجة الأولى وفي المنتخب الوطنيّ. كم مضى من الوقت على مرّتي الأولى، وعلى الشّاب الذي كنته، حينما كان پـاولو مالديني يشجّعني، ونحن في الممرّ الذّي يقود إلى الملعب الذي كان سيشهد انطلاقتي في دوري الدّرجة الأولى!

وها أنا الآن هنا، في ممرّ ملعب كالياري، وأشعر أنّني ميْت. يُقال إنّ للقطط سبع أرواح. أظنّ أنّ البشر أيضاً لهم سبع أرواح. ولعلّها أقلّ من ذلك، بيْد أنّها جميعها حيوات داخل الحياة. وفي مثل حالتي، أي حينما تكون لاعباً محترفاً، فإنّك تُفني أجمل سنوات جسدك، وتُكرّس شبابك لهذا المضمار، وحين ينقضي ذلك الوقت الذي كنت تشعر فيه أنّك في ذروة قوتك، وينال الوهن من عضلاتك ومفاصلك واستجابتك السّريعة للمحفزات، ستشعر حينها حقاً وكأنّك ميْت.

نعم، لقد متّ بين الشّوط الأوّل والشّوط الثّاني من مباراة مفصليّة في دوري الدّرجة الثّانية ما بين فريق كالياري وفريق پـارما. ولمْ يعلم أحدٌ بذلك، ولمْ يشكّ فيه أحد. حتّى إدواردو، فقد طمأنته بأنّ كلّ شيء على ما يرام.

ما زالت المباراة قائمة. واستأنف فريقنا الشّوط الثّاني. وجرتِ الأمور بصورة سيّئة بالنّسبة لنا، لأنّ فريق كالياري قلب النّتيجة. وكنتُ أفكّر في أعماقي بروح هذا الملعب، كنتُ في المدينة التي شهدتْ الإنجازات العظيمة لجيجي ريـفـا، معلّمي وأبي الرّوحيّ، المهاجم الإيطاليّ الأعظم والمدير الرّياضي الأكثر إنسانيّة بين كلّ من عرفتهم.

وانتهت المباراة بفوز كالياري بثلاثة أهداف مقابل هدفين لنا، بعد أنْ كان الفوز بأيدينا، أوّل الأمر. ربّما يحسن بي إنهاء مشواري هنا، في أرض جيجي

ريـفـا. لكنّني لا أنبئ أحداً بذلك. أحتفظ به لنفسي، انتظر، أرجئ التّفكير إلى الغد. سنرى ما إذا كنت سأستيقظ، سنرى ما إذا كنتُ متُّ فعلاً. سنرى ما إذا كان لي خلاص.